(ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون [105] إن في هذا لبالغا لقوم عابدين [106]) E A إن كان المراد بالأرض أرض الجنة كما في قوله تعالى في سورة الزمر (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا) إلى قوله تعالى (وقالوا الحمد الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء) فمناسبة ذكر هذه الآية عقب التي تقدمتها ظاهرة . ولها ارتباط بقوله تعالى (أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها) .

وإن كان المراد أرضا من الدنيا أي مصيرها بيد عباد ا الصالحين كانت هذه الآية مسوقة لوعد المؤمنين بميراث الأرض التي لقوا فيها الأذى وهي أرض مكة وما حولها فتكون بشارة بصلاح حالهم في الدنيا بعد بشارتهم بحسن مآلهم في الآخرة على حد قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) .

على أن في إطلاق اسم الأرض ما يصلح لإرادة أن سلطان العالم سيكون بيد المسلمين ما استقاموا على الإيمان والصلاح . وقد صدق ا وعده في الحالين وعلى الاحتمالين . وفي حديث أبي داود والترمذي عن ثوبان قال رسول ا A " إن ا زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وأن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " .

وقرأ الجمهور (في الزبور) بصيغة الإفراد وهو اسم المزبور أي المكتوب فعول معنى مفعول مثل : ناقة حلوب وركوب . وقرأ حمزة بصيغة الجمع " زبور " بوزن فعول جمع زبر " بكسر فسكون " أي مزبور فوزنه مثل قشر وقشور أي في الكتب .

فعلى قراءة الجمهور فهو غالب في الإطلاق على كتاب داوود قال تعالى (وآتينا داود زبورا) في سورة النساء وفي سورة الإسراء فيكون تخصيص هذا الوعد بكتاب داود لأنه لم يذكر وعد عام للصالحين بهذا الإرث في الكتب السماوية قبله . وما ورد في التوراة فيما حكاه القرآن من قول موسى " عليه السلام " (إن الأرض يورثها من يشاء من عباده) فذلك خاص بأرض المقدس وببني إسرائيل .

والزبور : كتاب داود وهو مبثوث في الكتاب المسمى بالمزامير من كتب اليهود . ولم أذكر الآن الجملة التي تضمنت هذا الوعد في المزامير . ووجدت في محاضرة للإيطالي المستعرب " فويدو " أن نص هذا الوعد من الزبور باللغة العبرية هكذا " صديقين يرشون أرض " بشين معجمة في " يرشون " وبصاد مهملة في " أرض " أي الصديقون يرثون الأرض . والمقصود :

الشهادة على هذا الوعد من الكتب السالفة وذلك قبل أن يجيء مثل هذا الوعد في القرآن في سورة النور في قوله تعالى (وعد ا الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم) .

وعلى قراءة حمزة أن هذا الوعد تكرر لفرق من العباد الصالحين .

ومعنى (من بعد الذكر) أن ذلك الوعد ورد في الزبور عقب تذكير ووعظ للأمة . فيعد أن ألقيت إليهم الأوامر وعدوا بميراث الأرض . وقيل المراد ب (الذكر) كتاب الشريعة وهو التوراة .

قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين) فيكون الظرف في قوله تعالى (من بعد الذكر) مستقرا في موضع الحال من الزبور . والمقصود من هذه الحال الإيماء إلى أن الوعد المتحدث عنه هنا هو غير ما وعد ا بني إسرائيل على لسان موسى من إعطائهم الأرض المقدسة . وهو الوعد الذي ذكر في قوله تعالى حكاية عن موسى (يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب ا لكم) وأنه غير الإرث الذي أورثه ا بني إسرائيل من الملك والسلطان لأن ذلك وعد كان قبل داود فإن ملك داود أحد مظاهره . بل المراد الإيماء إلى أنه وعد وعده ا قوما صالحين بعد بني إسرائيل وليسوا إلا المسلمين الذين صدقهم ا وعده فملكوا الأرض ببركة رسولهم A وأصحابه واتسع ملكهم وعظم سلطانهم حسب ما أنبأ به نبيهم " E " في الحديث المتقدم آنفا .

وجملة (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين) تذييل للوعد وإعلان بأن قد آن أوانه وجاء إبانه . فإنه لم يأت بعد داود قوم مؤمنون ورثوا الأرض فما جاء الإسلام وآمن الناس بمحمد A فقد بلغ البلاغ إليهم .

فالإشارة بقوله تعالى (إن في هذا) إلى الوعد الموعود في الزبور والمبلغ في القرآن .

A E